حجر في وداعه اللهو ، فاننا نرى ان اوضاع البلاد التي آلت اليها من الضعف والهوان ، قد ارتدت به الى الوراء فنكص على عقبيه كأنه عاد الى سابق انتكاسته بثقته في الانجليز وانخداعه بهم ، ففي هذا الجو الاستسلامي الذي عاشته فلسطين في هذه الفترة نتيجة هوان الزعامة فيها وتناحرها ، نسمع صوت شاعرنا بمناسبة قدوم اللورد بلفور الى فلسطين عام ١٩٢٥ ، كأنه يخيل اليه ان الانجليز انما خدعوا اليهود في تصريح بلفور ، فهو لا يزال يحمل بين ضلوعه ثقة لهم في غير محلها ، يقول :

وعد وما هو كالوعود ... خدعوا به امم اليهود
ام تنوّم طفلها ... والطفل يخدع بالنشيد
كالمغرم المفتون يقنع بالتعلل بالوعود
والختل شرع في السياسة ... ليس بالامر الجديد[٤٧]

وفي هذا الجو ، الذي تمكنت الحكومة البريطانية من خلقه في البلاد توفيرا للظروف التي تبتغيها في سبيل اهدافها المشتركة مع الصهيونية ، لم يكن غريبا ان يقول مثلها في احدى مناقشات عصبة الامم بجنيف عام ١٩٢٥ ، حول تأسيس مجلس تشريعي بفلسطين ، « لا يمكن انشاء مجلس تشريعي في فلسطين يكون العرب فيه ممثلين بحسب عددهم ، لأن ذلك يحول بين الحكومة وتنفيذ الواجبات المفروضة عليها بانشاء الوطن القومي اليهودي [٤٨] . وكذلك لم يكن غريبا ان يصدر المندوب السامي ، في اواخر هذا العام ، بيانا رسميا يشكر فيه حسن التلبية لندائه باعتبار اليوم الحادي عشر من تشرين الاول (نوفمبر) تذكارا للهدنة وتكريما للسلام ، كما يطلب فيه من الشعب ، استهانة واستخفافا ، ان يؤموا المعابد في اليوم التاسع من كانون الاول (ديسمبر) ، شكرا وحمدا ، من اجل تحرير القدس ، ذلك والثورة السورية ، في الشمال ، في ابانها .... ولكننا مع ذلك لا نعدم صوت الشعر يأتي الى المندوب السامي ليسمعه صوت الشعب الحقيقي ، ويزيل الوقر من اذنيه . وكان ذلك الصوت من على قلم شاعرنا المناضل البستاني فقد نشر قصيدته « صوت الشعب » بهذه المناسبة في جريدة « صوت الشعب » التلحمية في ١٩٢٥/١٢/٩ ، وفيها يخاطب المندوب المارشال اللورد بلومر بقوله :

فديتك أيهذا المارشال ... اهذا القول اولى ما يقال
انحمد هدنة كذبا وزورا ... وتلك الحرب قائمة سجال
قتال في الشمال ونحن منه ... جنوبٌ والشمال لنا شمال
فما اهلوه الا الاهل انا ... ـ تقول عروقنا ـ عم : وخال

وحول دعوى المندوب في تحرير القدس ، يسائله الشاعر عمن حررها وما معنى تحريرها وسيف ارهابه مسلط فوق رقاب اهلها واهل باقي فلسطين ، ثم يتوعده بمبادأة النضال يوما ، كما يناضل اخوانه العرب في سوريا في الشمال ، يقول :

اتحرير وسيفك فوق رأسي ... لعمرك انه القول المحال
لئن سبق الشمال الى نضال ... ففي هذا الجنوب غدا نضال [٤٩]